مقال لم ينشر للدكتور الصاوي:

حقيقة الأزمة القلبية لعبد الناصر

بقلم الدكتور / الصاوي محمود حبيب
الطبيب الخاص للرئيس جمال عبد الناصر

obeikandl.com

obeikandl.com

كان عام ١٩٦٩ حافلا بالأحداث ، فمنذ أول يناير ١٩٦٩ إلى آخر أغسطس ١٩٦٩ كان جمال عبد الناصر قد رأس مجلس الوزراء ١٨ مرة ورأس اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية والمؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي ١١ مرة ، واستقبل ١٦٥ رئيسًا ووزيرًا وسفيرًا وأعضاء وفود عربية وأجنبية – وأدلى بأحاديث صحفية وتليفزيونية لنيورك تايمز – ونيوزديك – والتليفزيون الفرنسي ومجلة تايم – وأدى صلاة العيد في الحسين وقضى ثاني وثالث أيام العيد مع الجنود والضباط في الجبهة ومر على خط المواجهة كله – وزار الليثي عبد الناصر في مستشفى المواساة بالإسكندرية – وشارك في تشييع جنازة عبد المنعم رياض وزار المبنى الجديد للأهرام وافتتح مصنع الدرفلة الجديد.

في أوائل عام ١٩٦٩ بدا أن هناك تحسن في صحة عبد الناصر وزاره الدكتور إرنست فايفر عميد معهد السكر في أولم بألمانيا في ١٢ ، ١٣ مارس وأجرى الكشف عليه وأخذ منه عينات تم تحليلها في مصر وألمانيا أثبتت أن سكره من النوع الثاني الذي يصيب الكبار نتيجة مقاومة الجسم للأنسولين . كما كان يتردد عليه الدكتور محمود صلاح الدين أحيانًا والدكتور منصور فايز بانتظام وبدأت الخطوات الأولى في إنشاء معهد السكر بتوجيه منه .

وفي هذا العام كانت الروح المعنوية للجنود والضباط مرتفعة وقدراتهم العسكرية ومهاراتهم القتالية قد زادت نتيجة تجنيد حملة المؤهلات العليا والمتوسطة الذين استوعبوا الأسلحة الحديثة بسرعة مهارة وأصبحت حرب الاستنزاف حرب دامية ردت عليها إسرائيل بغارات العمق التي استهدفت المدنيين فأغارت على إدفو ونجع حمادي كما قامت بإحداث حريق المسجد الأقصى في شهر أغسطس ١٩٦٩ فعمت المظاهرات العالم العربي والإسلامي ، ومع تصاعد الأحداث ارتفع السكر والكولسترول وضغط الدم عند جمال عبد الناصر .

وكان من المقرر سفر جمال عبد الناصر إلى تسخالطوبو في أغسطس ١٩٦٩

لتكرار العلاج بالمياه الطبيعية الذي بدأ في العام السابق إلا أن غارات العمق وخسائر المدنيين وحريق المسجد الأقصى كانت سببًا في أن يقوم جمال عبد الناصر بتأجير ميعاد السفر .

وفي يوم ٩ سبتمبر قامت إسرائيل بالإغارة على شاطئ البحر الأحمر على خليج السويس بقوة بحرية برمائية ١٠ دبابات وعدد من العربات المجنزرة وهاجمت عدة أهداف في المنطقة ثم انسحبت بعد ١٠ ساعات من نزولها دون تدخل من القوات المصرية بل قام المعتدون بسرقة محطة رادار .

وفي الصباح يوم ١٠ / ٩ / ١٩٦٩ كان ميعادي اليومي الصباحي مع جمال عبد الناصر ، وعندما دخلت عليه لم أجده كعادته مستلقيًا على السرير يقرأ أو يتكلم في التليفون ولكنني وجدته جالسًا وقد بدت على وجهه ملامح القلق والانفعال ، وبعد إتمام الكشف عليه سألته عن السبب فذكر أنه عندما اجتمع مع القادة بعد العملية الفدائية التي سبق للقوات المصرية أن قامت بها منذ فترة قصيرة أخبر المجتمعون أن المكان المتوقع ليرد الإسرائيليون علينا فيه هو شاطئ البحر الأحمر ولكنهم بدلا من تعزيز مواقعهم قاموا بسحب جزء من القوات بغرض التدريب فأصبح المكان خاليًا لتفعل إسرائيل ما فعلت .

وفي صباح يوم ١١/ ٩/ ١٩٦٩ دخلت عليه كالعادة فأخبرني أنه استيقظ في الفجر وهو يشعر بضيق في التنفس استمر لبعض الوقت وعندما قمت بالكشف عليه سمعت الصوت الثالث بالقلب إلى جانب الصوت الأول والثاني اللذان يسمعان بصفة طبيعية وقد يكون سماع الصوت الثالث بعد مرحلة الشباب دليلاً أو مؤشرا على حدوث إجهاد أو قصور في البطين الأيسر من القلب ، ويبدو أنني أطلت وضع السماعة على صدره مما استلفت نظره .

وفكرت في الخطوة التالية وكانت واضحة في ذهني تمامًا وهي عمل رسم قلب

فورًا قبل الخروج من الحجرة وكان جهاز رسم القلب موجودًا بصفة دائمة في غرفة المكتب الملحق بغرفة النوم . أما السبب الذي استندت إليه لعمل الرسم دون أن يسأل عن السبب فقد كان بسيطًا فقد كنت أعرف أننا سنسافر إلى الاتحاد السوفيتي بعد أربعة أو خمسة أيام في الميعاد المؤجل من قبل فقلت له أنني أرغب في عمل رسم القلب والتحليل ليكونا جاهزين معي عند السفر للاتحاد السوفييتي وبطبيعة الحال وافق وقمت بعمل رسم القلب الذي أكد وجود أزمة قلبية ، وبدأت العلاج وطلبت منه عدم مغادرة الفراش لإصابته بأنفلونزا وكان الدكتور على المفتي طبيب الأنف والأذن على ميعاد مع جمال عبد الناصر في نفس اليوم لعلاجه من احتقان في الحلق فطلبت منه التأكيد عليه بعدم مغادرة الفرش لحين حضور الدكتور منصور فايز الذي كنت قد استدعيته للحضور وفعلا حضر واطلع على رسم القلب وقام بالكشف عليه وأكد التشخيص وتم الاتفاق على العلاج بعد أن أكد لعبد الناصر وجود أنفلونزا شديدة وضرورة الراحة التامة .

ولكن أثناء خروجنا من منزل جمال عبد الناصر أخبرني الدكتور منصور فايز بضرورة وجود طبيب قلب معنا لتحمل مسئولية شخص مثل جمال عبد الناصر وأخذت أعدد له أسماء أطباء القلب في القاهرة إلا أنه رفضهم جميعًا بدعوى أن دخول أي منهم بيت جمال عبد الناصر كاف لأن تعرف القاهرة كلها أنه يعالج من القلب وكان أن طلب مني الدكتور منصور استدعاء الدكتور محمود صلاح الدين من الإسكندرية وكان أكبر أطباء القلب في ذلك الوقت كما أنه كان دائم التردد على جمال عبد الناصر وكان يثق فيه ويطمئن له كما أن كريمة الدكتور محمود صلاح الدين متزوجة من الأستاذ زكي الرملي أستاذ القلب في جامعة القاهرة . ومن الطبيعي أن يتواجد في القاهرة وفعلا قام السيد / محمد أحمد سكرتير الرئيس بإحضاره من الإسكندرية في قطار الرابعة ليصل إلى القاهرة الساعة السادسة مساء ويجدني في انتظاره في محطة مصر وكنت قد عدت للمرور على جمال عبد الناصر

ظهرًا للاطمئنان عليه فحدد ميعاد السابعة مساء .

وبعد مقابلة الدكتور محمود صلاح الدين أطلعته على رسم القلب وانضم إلينا الدكتور منصور فايز وتوجهنا إلى جمال عبد الناصر في الميعاد وقام الدكتور محمود صلاح الدين بالكشف عليه وطلب إعادة رسم القلب وأكد على الرئيس أنه مصاب بأنفلونزا شديدة من النوع الذي يؤثر على عضلة القلب وأكد ضرورة الراحة ، وأكدت التحليلات المعملية حدوث الأزمة القلبية وتكرر مرور الدكتور محمود صلاح الدين والدكتور منصور فايز يوميًا وأنا معهم كما بدأ عمل رسم القلب يوميًا وتكرار عمل التحليل وكنت قد أقمت بصفة مستمرة في حجرة في السكرتارية منذ حدوث الأزمة القلبية .

وفي ثالث أو رابع يوم سألني جمال عبد الناصر هل كان الدكتور محمود صلاح الدين في القاهرة كما زعمت أم أنني أحضرته من الإسكندرية ولم أكن في حاجة للإجابة فقد كان واضحًا أنه فهم أننا أحضرناه من الإسكندرية خصيصًا للكشف عليه ، وفي الواقع أن الذي أكد له أنه أزمة قلب وجود عمال في المنزل لتركيب أسانسير وكان الأستاذ هيكل يسألني عن حالته فأجيب بشيء من التحفظ وعندما ذكرت لجمال عبد الناصر ذلك أخبرني بأن خمسة أشخاص يمكنني أن أحادثهم بصراحة عن حالته منهم أنور السادات وهيكل .

وكان حدوث هذه الأزمة القلبية صامتًا بدون ألم بسبب السكر ولكنها مرت أيضًا بدون أي مضاعفات وهو إلى جانب أنه لم يشعر بها كانت حالته البدنية والذهنية طبيعية ولم يشعر بأي تدني في قدراته أو مقدرته على إدارة الأمور .

ونشرت الصحف يوم ٩/١٧ أن جمال عبد الناصر ألغى مواعيده لإصابته بأنفلونزا ، وفي يوم ٩/١٨ أذاعت الصحف خبر تعيين رئيس جديد لأركان حرب القوات المسلحة الفريق محمد صادق وكان هذا نتيجة لعدوان إسرائيل على شاطئ

البحر الأحمر يوم ٩ سبتمبر .

ولم يفكر أي من أطبائه أنه قد أصبح غير قادر على الاستمرار كرئيس فقد كانت نتيجة الكشف الطبي اليومي عليه تؤكد أن لياقته الذهنية والبدنية تكفي للاستمرار . وهو من ناحيته لم يشعر بأنه غير قادر ولذلك لم يسأل أطباءه المصريين أو أي طبيب من الخارج عن قدرته على الاستمرار ، كما لم يعين نائبًا له أثناء مرضه يقوم بعمله حسب القواعد المعمول بها .

ونتيجة لإلغاء سفر جمال عبد الناصر للاتحاد السوفييتي لإصابته بالأزمة القلبية لم يكن غريبًا أن يوفد الاتحاد السوفييتي الدكتور شازوف للاطمئنان عليه ، وأبلغني جمال عبد الناصر أن شازوف سيحضر للاطمئنان على حالته الصحية ولا مانع لديه من عرض الأبحاث الطبية التي عملت من رسومات قلب وتحاليل عليه . وكان الدكتور شازوف أكبر أطباء القلب في روسيا والمشرف على علاج القادة ، وفعلا حضر وقام بالكشف على عبد الناصر واطلع على جميع الأبحاث التي عملها وامن على التشخيص والعلاج ولم يشر بأي نصائح أو ملاحظات ونشرت الصحف خبر الزيارة يوم ٢٠ / ٩ / ١٩٦٩ .

بعد مضي ثلاثة أسابيع اندفع جمال عبد الناصر يعمل من جديد كأنه يعيش أبدًا بكل قوة ومن نوفمبر ١٩٦٩ إلى سبتمبر ١٩٧٠ رأس مجلس الوزراء ١٧ مرة ورأس اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي مرتين – ورئيس اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ٨ مرات وحضر اللجنة الرباعية للإصلاح المالي والاقتصادي ٣ مرات واستقبل ٣٨ رئيس دولة خلال العام منهم ٩ رؤساء في الشهر الأخير استقبلهم في المطار وأجرى معهم مباحثات وأقام لهم مآدب رسمية وودعهم في المطار ، واستقبل ١٨٨ سفير ووزير أجنبي وشخصيات عامة ووفود أجنبية وألقى ١٣ خطاب عام في مؤتمرات سياسية وجماهيرية في مصر والخارج وسافر خارج القاهرة ١٥ مرة من القاهرة إلى الرباط – الجزائر – طرابلس – بني غازي –

الخرطوم – أسوان – موسكو – الإسكندرية – الخرطوم – بني غازي – موسكو – باربيخا – الإسكندرية – مرسى مطروح – القاهرة ، وزار الجبهة أكثر من مرة وحضر مناورة بالذخيرة الحية ، وأدلى بأحاديث تليفزيونية وصحفية لرجال أعلام أمريكيين وانجليز وفرنسي وهندي ودنماركي ٦ مرات ، وصلى في مسجد الإمام الحسين والسيدة زينب مرتين والأزهر مرتين والصابري ببني غازي .

وكانت المحاولة الأخيرة من جانب أطبائه لتنبيهه إلى خطورة هذا النمط من الحياة على صحته في اجتماع عقد بناء على تقريرين أحدهما بإمضاء الدكتور منصور فايز والدكتور زكي الرملي والدكتور الصاوي حبيب في ١٩/ ٧/ ١٩٧٠ والثاني بإمضاء الدكتور منصور فايز والدكتور زكي الرملي في ٢/ ٨/ ١٩٧٠ وكل منهما يشير إلى وجود دلائل على ضعف وقصور في البطين الأيسر ، وفي هذا الاجتماع الذي عقد في شهر أغسطس في الإسكندرية بعد الأزمة القلبية بأكثر من عشرة شهور وقبل وفاته بشهر كان الحضور الدكتور محمود صلاح الدين والدكتور منصور فايز والدكتور زكي الرملي والدكتور على البدري والدكتور ناصح أمين والدكتور الصاوي حبيب وذكر له الدكتور محمود صلاح الدين أن حالة عضلة القلب لم تتحسن نتيجة ما يبذله من جهد شاق وأن عليه أن يغير نمط حياته فكانت إجابته الصادمة معنى ذلك أن على أن أغير وظيفتي وكانت هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي أثير فيها موضوع صلاحيته للعمل .

وما أن انتهى الاجتماع حتى توجه إلى مرسى مطروح والتقى بالقذافي ودخل في داومة العمل . وكان الفلسطينيون قد رفضوا مبادرة روجرز التي قبلها ، واختطف الفدائيون الفلسطينيون ٤ طائرات وفجروها في القاهرة وعمان واندلعت الحرب بين الأردنيين والفلسطينيين وسافر إلى القاهرة وعقد مؤتمر قمة حضره ٩ رؤساء استقبلهم وحادثهم وودعهم وبسفر أخرهم أمير الكويت توفي عبد الناصر بالأزمة القلبية الثانية ، لو يوقفه العمل الشاق والجهد الخارق ولم يوقفه مرض السكر الذي

كان يمكن أن يعيش به سنوات وسنوات ولو توقفه الأزمة القلبية الأولى التي كان يمكن أن تسبب هبوط بالقلب يعيش به بضعة سنوات ولكن أوقفه الجين الوراثي لمرض الشريان التاجي في سن ٥٢ كما أوقف شقيقه الليثي بعده ثم أوقف شقيقه الثالث عز العرب في نفس السن وورثه جمال ابن شقيقه الرابع شوقي الذي عملت له جراحتان في القلب .

وهذا الجين انتقل إلى جمال عبد الناصر وأشقاؤه من والدته التي ماتت في الثلاثين من عمرها تثريبًا وورثه أيضًا شقيقها إبراهيم الذي توفي في أوائل الخمسينات من عمره وورثه أيضًا شقيقها احمد الذي عاش لبعد سن المعاش وورثه لنجله إسحاق الذي مات في الأربعينات من عمره بأزمة قلبية .

وإلى هنا ومنذ الآن آن الأوان أن يقفل هذا الملف وأن يبحث من يريد عن ملف آخر قد يكون فيه ما يسير بعيدًا عن مأساة وفاة جمال عبد الناصر .

وأعتذر مقدمًا لكل من يريد الإثارة الإعلامية فلم يبق هناك ما يثير .

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾.